مفهوم الصحة وتداعياتها السياسية والأخلاقية
فوكو أنموذجا

The concept of Heath and its political and moral implications Foucault asamodel

بن مزهود شهناز

مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر

جامعة الجزائر_2_ أبو القاسم سعد الله

mouhamedchahinez@hotmail.com

أ .د مهيبل عمر

جامعة الجزائر_2_ أبو القاسم سعد الله

omarmehibel@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 31 /2019/10 تاريخ القبول: 24 /2020/06

ملخص:

لقد ارتبط مفهوم الصحة بتفكير الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو ، إلا إن هذا الارتباط لم يتعلق فقط بالجانب التأريخي لكيفية تشكل المفهوم وارتباطه بمفاهيم مختلفة كالمرض، وسياسة الموت والحياة ، وإنما تعدى ذلك إلى محاولة أشكلة تلك المواضيع فاخترقت بذلك أسئلته مختلف المجالات سواء من الناحية الفلسفية أو الناحية السوسيولوجية _أخلاقية مما انتج حقلا مفاهيميا غفل ارتبط بالمجال الطبي السياسي على الخصوص وذلك من قبيل البيوسلطة، ، إدارة الأجساد ،السياسة الحيوية وغيرها من المفاهيم التي أصبحت تشكل مرجعا أساسيا لدراسة تطور الممارسات الطبية والقضايا الصحية المرتبطة بها خاصة ما طرحه فوكو من ناحية ارتباط المجال الصحي بالمجال السياسي وما أنجر عنه من تدخل في الحياة الإنسانية عن طريق تكنولوجيات كثيرة من مراقبة وانضباط وبالتالي عمل على قلب بعض الموازين المتعلقة بـالدولة والصحة لذلك فإن فوكو يقوم بعملية تصقيل وتمحيص لبعض المفاهيم التي كانت تمثل في مرحلة ما تعبيرا عن وفاء وتطابق للواقع بلغة معرفية.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الكلمات الفتاحية: الصحة، الحياة الانسانية،السياسة،المرض،الأخلاق

Summary

The concept of health has been linked to the thinking of the French philosopher Michel Foucault, where not only the concept of health has a historical aspect of how the concept was formed and its association with different concepts such as illness, and the policy of death and life. Or morally, which produced a non-conceptual field related to the field of political medicine in particular, such as, biopolitics, body management and other concepts that have become a basic reference for the study of the development of medical practices and issues Foucault, in terms of the link between the health field and the political field, and the state's interference in human life through many technologies of surveillanceanddiscipline. Based on this, he is reversing some of the scales or to revise some of his attitudes regarding the state and health.

Keywords: health, human life, politics,illness, ethics

المؤلف المرسل: الاسم الكامل، الإيميل: بن مزهودشهناز،mouhamedchahinez@hotmail.Com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

تعد الصحة مطلب انسانيإلا أننا نجد أن هذا المطلب لا يعطي تحديدا معينا لمعنى الصحة خاصة في ظل الحاجة إلى البحث عن القيم والمعايير الانسانية والاخلاقية المرتبطة بها وعليه فإن مفهوم الصحة يعد من المفاهيم الكثيرة التي تأخذ على محمل التحليل والتقييم استنادا إلى متطلبات الوضع الراهن ولعل ميشال فوكو من الفلاسفة الذين كان لهم وعي بأهمية هذا الموضوع حيث تشهد مؤلفاته تعدد أشكال التأريخ والتحليل والنقد التي تؤكد بصورة مغايرة أنها مسألة لا تُعنى فقط بالطابع المعرفي المحض ، بل إنها تهم الحياة والكيفية التي نعيش بها بما انها موضوع ممارساتي ، صحيح أن انطلاقة فوكو الاست شئالية مرتبطة بانعطافته المفاجئة نحو الثقافات القديمة الا أنها لم تكن منفصلة عن اهتمامه القوي بالحاضر والتجربة الصحية و السياسية و الأخلاقي ةوهو الموضوع الذي يشكل محور دراستنا البحثية مبرزين بذلك بواسطة المنهج التحليلي التاريخي، تأريخه للمحطات التي مرَ بهامفهوم الصحة وكيفية ارتباطه بالعمل السياسي. لذلك فإن فوكو يقوم بعملية تصقيل وتمحيص لبعض المفاهيم التي كانت تمثل في مرحلة ما تعبيرا عن وفاء وتطابق للواقع بلغة معرفية وعليه كيف تكونت العلاقة بين الصحة و السياسة و ماهي التداعيات الأخلاقية المنجرة عن ذلك التحاقل الصحي_السياسي؟ وكيف عمل فوكو على إخراج الذات من مزالقها ؟

1. مفهوم الصحة

لقد شهد مفهوم الصحة تعريفات مختلفة على حسب السياقات التي تندرج فيها ومن ابرز التعريفات الشائعة والمتعارف عليها هو ما ارتبط وجودها بغياب المرض الا ان هذا التعريف لم يلبث وان اتخذ معنى اكثر شمولي ة خاصة في منتصف السبعينيات حيث اصبح مفهوم الصح ة يشتمل على اقسام رئيسيةمن صحه بدني ة، عقلية، نفسيةاجتماعيةوروحي ة[1]،وهو ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبر عنه تعريف منظمة الصحة العالمية الذي اعتبر مفهوم واسع تم الاتفاق عليه عام 1948 والمتمثل في أن " الصحة حالة اكتمال السلامة من جوانب بدنية، اجتماعية وعقلية"[2]، انطلاقا من هذا التعريف نجد انها لم تُ ختزل الصحة فقط في الجانب البايولوجي أو العجز ،لأن غياب المرض في حال وجود مشكلات في اي قسم من الاقسام التالي ة لا يعبر عن مفهوم الصحة وعليه فإن حفظ الصحة وتعزيزها أمر أ ساسي لمعافا ة الناس وتحقيق تنمية مستدامة في جميع النواحي (اقتصادياو اجتماعي ا ....إلخ)، لهذا وُضعت الصحة في أولى درجات سلم الأولويات حيث لا يسبقها في ذلك الا الشؤون والشواغل الاقتصادية(تكاليف المعيش ة والبطالة) وقد ترتبط الصح ة بالمجال السياسي بحيث تصبح قضي ة سياسية تحاول من خلالها ارضاء تطلعات شعوبها[3]،هذا بالمعنى العام لمفهوم الصح ة اما اذا اردنا الرجوع الى المفهوم الذي قدمه ميشال فوكو لها فإن الصح ة بالنسبة إليه لا تقتصر فقط على الخلو من الامراض وانما يتبعها ج وانب متعددة من الناحية الاجتماعية، الإقتصادية، الثقافي ة والسياسية والجدير بالذكر ان م يشيل فوكو لم يقدم تعريف محدد لها لان غايته لم تكن متوقفة حول إعطاء مفهوم معين للصحة بقدر ما كان اهتمامه متمحور حول مأسسة التدخل السياسي في تدبير الصح ة من خلال قوانين وانظمه طبيه تهتم بكل جوانب الوجود الصحي حيث ان الحدث بالنسبة له يتمثل في التحول الكبير الذي حدث في القيم ة السياسي ة للصح ة داخل المجتمعات والسبب في كونها تحولت من شأن شخصي فردي إلى شأن سياسي عام [4]، لهذا نجده يقترح نظرة مغايرة الى تاريخ الطب والعياد ة على أنه تاريخ معرفي انفصالي لأنه ليس نتيج ة لأعمال عظماء اكتشفوا طرائق جديد ة لرؤية الحقيقة و معرفتها وهنا نلاحظ أن مفهوم الصح ة عند ميشيل فوكو يقترب نوعا ما الى مفهوم الصحة عند جورج كنغلهم George Canguilhem الذي يعتبرها مفهوم فلسفي اكثر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منه علمي لأنه لا يمكن قيام علم للصح ة حيث لا يمكن حصرها ولا تحديدها موضوعيا لأننا لا نشعر بوجودها فهي تكون حاضر ة ولكن لانستشعر وجودها ولا يمكن اثباتها إلا عندما تغيب وهي المفارقة بالنسبة إليه[5]، فالصحة بهذا المفهوم تأخذ معنى اللامعيارية سواء من الناحية الاجتماعية أو الطبية أو السياسية إنها مفهوم شامل لكل هذه المعايير التي يمكن تجاوزها إلى الطابع الإنساني والحال ذاته عند فوكو عندما تناول فكرة الصحة وظاهرة الجنون بالتحديد التي تعاملوا معها كظاهرة تابعة للمعايير الاجتماعية والسياسية والثقافية وهو التصور الخاطئ الذي أراد أن يُبينه فوكو ويقوم بتصحيحه.

2. التأريخ الفوكوي للممارسة الصحية

تعد الصحة نوع من العلاقات المتعددة بين جملة من العمليات التي يكون فيها التشخيص والعلاج إحدى المظاهر التي تجسدها ،وهو ما اشار إليه فوكو في حديثة عن تاريخ الممارسة الطبية وبشكل أدق في جانبها التاريخي وبالتحديد ما جسدته كتاباته الأولى المتمثلة في كتابيه " **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي** " **وميلاد العيادة** حيث ركز فوكو في هذه الأعمال على الإحاطة بالظروف التي أدت الى ظهورها وميلادها لأن فهم طبيعتها لا يتأتى الا من خلال الرجوع الى الخلفية التاريخية التي تشكلت فيها وتطورت وهو ما يفسر اهتمام فوكو بتاريخ الجنون وكل ما يرتبط بالمرض سواء في جانبه العقلي أو العضوي وبالتالي تقصي تلك الظواهر النوعية كتاريخ الجنون.

أ. الجنون داخل المعيار الباثولوجي

إن ما يؤكد فرادة فوكو في الجنون هو استناده الى التاريخ العجيب له والى جميع التجارب المستقاة من الطب الوضعي حيث شمل تاريخ الجنون جميع أشكال المؤسسات المرتبطة بالجنون بما فيها الشرطة والأوامر الملكية والمستشفيات العامة والسجون دون أن ننسى مؤسسات الحجز، والتي تعد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختراع من اختراعات العصر الكلاسيكي العجيب لقد أرخ (فوكو) لها وحلل وكشف مختلف الأشكال العلاجية التي كانت محيطة في العصر الكلاسيكي معلنة بذلك عن ميلاد ذلك المجنون المريض الذي سيخلف التصور السائد عن المجنون باعتباره ذلك الانسان الشاذ أو المشوه أو المهمش[6].

كما ربط فوكو ظاهرة الجنون والطب النفسي بالسلطة وانتهى الى أن الأطباء النفسانيون يعملون على اتهام الناس والزَج بهم في السجن والمصحَات لأنهم كانوا يمتلكون السلطة المخولة لهم باتخاذ تلك القرارات سواءأ كان ذلك صحيحا أم خاطئا لي صل بعدذلك إلى اعتبار أن الأسلوب هو عبارة عن تسلط قمعي للذوات واخضاعها لشتى العقوبات والقوى بدون حق.مما أدى إلى اعتبار ظاهرة الجنون ظاهرة هامشية ومضادة من قبل الخطاب العقلاني لذلك فإن جل الأطباء والفلاسفة تعاملوا مع المجانين طبقا لهذه النظرة الإقصائية، فارتبطت ظاهرة الجنون بالعقل وقيمه ليصبح هو المعيار الفارق للصحة والمرض وعلى هذا فإن فوكو كانت غايته في هذا الجانب هو ازاحة صورة الاقصاء والعمل على كشف مختلف التصورات التي تجذرت في الحقول العلمية[7].

فتوصل فوكو في تأريخه وتحليله لهذه الظاهرة الى حوصلة مفادها أن الجنون لا يوجد في المجتمع، لأن الجنون كظاهرة ليس لها وجود في ذاتها بل هي من صنع الوسط الاجتماعي الثقافي، بحيث تشكلت وتبلورت في شكل وعي داخل مرحلة زمنية ما.

وهنا يقصد فوكو تلك المرحلة التي رجع اليها والمتمثلة في العصر الكلاسيكي والتي اعتبرت فترة جد وجيزة من تاريخ الانسانية فيبدأ فوكو بقصة مرض الجذام كمرحلة انطلاقة تاريخ الجنون التي سيحل محلها الفقراء والمشردون وغيرهم ممن يمكن وضعهم داخل أشباه الفئتين، فظهرت سفينة الحمقى في الحقل الخيالي لعصر النهضة حيث كان هؤلاء المجانين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطردون خارج المدن عن طريق شحنهم على ظهر هذه السفينة وهو ما شهدته وروته وقائع العصر الحديث.

كما لم يفوّت فوكو ابراز بعض الممارسات التي دخل ت في عالم السحر والشعوذة و رسخت داخل المخيلة الانسانية بغية تحديد ورسم حدود عالم ذلك المجنون، فلا يتوقف فوكو عند هذا الحد فقط وإنما يبدأ بتاريخ كامل لقصة الجنون التي طالت العقل الغربي من فكرة الاعتقال الكبير، والسجن الى ما آخره.

إذن إن الجنون كتجربة شهد وجودا ولكن كان هنالك تحكم في مصادر عتقه، أما العصر الكلاسيكي فقد شهد اسكاتا نهائيا له لأنه بعد ذلك لن يسمع صوت الجنون أبدا خاصة مع ديكارت عندما حصن العقل نفسه ضد الجنون وزال خطره من الممارسة العقلية فهو بحسب تأويل فوكو هو إقصاء عن الذات التي تشك ،بل من المستحيل أن تكون هذه الذات منعدمة الوجود يقول فوكو " إن شك ديكارت يتخلص من سحر الحواس، ليخترق عالم الحلم، نبراسه في ذلك الأشياء الصحيحة، الا أنه يقصي الجنون باسم ذلك الذي يشك ولا يستطيع أن يخرج عن العقل وأن لا يفكر و أن يكون منعدم الوجود[8]".

لقد حدثت قطيعة من العقل واللاعقل وعليه فإن ظاهرة الجنون كما يرويها فوكو ليس فيها تقدم مطلقا لأنها تسير تراجعيا فهي من السيء الى الأسوأ على الاطلاق، حتى وفي نهاية العصور الوسطى كان هنالك نوع من التعامل الطبي الإنساني مع شخصية المجنون والذي كان مرتبط بتأثير الشرق والفكر العربي حيث كان هنالك تأسيس وبناء للمستشفيات الا أن تلك العملية لم تأخذ بعدا عمليا تحرريا لشخصية المجنون فقد ظل في حالة دونية وانطلاقا من هذا ساهم فوكو من خلال تأريخه لتجربة الجنون، في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توسيع رقعة اهتمامه بموضوعات الجسد والصحة والطب وهو ما أدى به الى تفكيك هذه البنيات في الممارسات العلاجية.

ب الوباء داخل الوعي السياسي

يقدم فوكو وبنظرة أركيولوجية تحليلية في كتابه **ميلاد العيادة** كيفية تطور النظرة الطبية اتجاه تمظهر المرض وكيفية معالجته وذلك في نهاية ق 18 الذي شهد إمكانية تحديد مكامن المرض بالمقارنة مع ما كان في الطب التصنيفي الذي ساد من قبل ،خاصة وأن الطب التصنيفي اتخذ مكانة هامة باعتباره مرجعية لا يقوَم المرض إلا عنده بحكم الافتراض التصوري للمرض إلا أن المرض في هذا التصور يظهر دوما منزاحا لأن التشخيص سيكون واقعي بين المريض والطبيب وانطلاقا من هذه الصفة الغريبة للمعاينة الطبية التي تبقى دائما تدور في دوامة لا نهائية والسبب يعود إلى النظرة المرئية لمعاينة المرض والتي لاتصل في بعض الاحيان الى حقيقة المرض وهو ما يسمح للداء بالسير بمقتضى طبيعته وعليه فهم فوكو ان فهم المرض في الجسد المريض يستلزم تشخيصا كيفي من أجل التحكم في المرض وبالتالي لابد من ملاحظة مكامن الجفاف، الحرارة ،الوهن فتصبح المعاينة بمقتضى هذا معاينة منفتحة على الحيثيات الدقيقة ، آخذة بعين الاعتبار كافة التغييرات وهو الحال مع تمظهر الوباء الذي اعتبره ظاهرة اجتماعية تستلزم معاينة وفحص متعدد ، لما لها من عرض طارئ وهذه النظرة كانت موجودة في نهاية ق18 عندما اعتبر الوباء عملية مفردة مقيدة ومأسسة وهنا يقول فوكو "نطلق اسم الأمراض الوبائية عندما يصاب الجميع بالمرض في الآن ذاته ، وبخصائص ثابتة ، وبعدد كبير في ذات الوقت "، اذ لايوجد أي اختلاف طبيعي أو نوعي بين الامراض الفردية والظواهر الوبائية " [9]. وهنا يريد فوكو أن يبين تلك النظرة المغايرة التي اصطبغ بها الوباء حيث عمل على تقريب التصور الوبائي بالتصور المرضي من خلال النظرة إليهما كظاهرة واحدة أي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنهما ينتجان داخل محيط اجتماعي واحد ولكن تختلفان في درجة الإصابة والمرض وبالتالي فإن نظرة ق18 للوباء نظرة مقصرة ومجحفة.

فبين بذلك فوكو كيفية التعامل معه ، حيث كانت تقوممجموعة من المسؤولين من مدير مالي ،اطباء وجرَاحين ، من أجل متابعة ورصد نتائج المرض المنتشر وهو ما يوضح وجود نوع من التشريح للصحة في كل مقاطعة التي انجر عنها وعي طبي مؤسس مهمته هو المراقبة والإلزام ، وبالتالي كانت مهنة الطبيب في الاساس مهنة سياسية إنها كفاح ضد المرض إذ لابد من الوقوف ومجابهة الحكومات الفاسدة التي تسمح بانتشار الأمراض والأوبئة.

3. تطور النظرة الصحية للجسد و المرض والموت:

لقد حدد فوكو ثلاث مفاهيم أساسية تشكل في أساسه الترسانة الأولى لكل ممارسة طبية صحية والمتمثلة في ، الجسد، المرض، الموت وهي مفاهيم ينطلق منها كل ممارس للمجال الطبي، فالممارسة الطبية تستمد كل مقوماتها من العالم المحيط بها وذلك نتيجة عنصر التفاعل والتأثير من خلال إعادة انتاج أطروحاته المتعلقة بطبيعة المرض والصحة لأن بنية المرض ليست الا انعكاسا لبنية الحياة [10] وهي الفكرة التي خاض فيها العديد من الفلاسفة والمفكرين والأطباء من أمثال لوريش و كنغلهم وغيرهم ممن أرادو أن يغيروا من التصور التقليدي للمرض ومحاولة إضافة دلالات جديدة عليه خاصة المتعلق منها بالجانب الإنساني .

وانطلاقا من هذا ظهر مصطلح "المعاينة الطبية" الذي كان محور كتابه **ميلاد العيادة** حيث تطرق من خلاله إلى الجانب اللإنساني داخل العملية الطبية (الجسد، المرض ، الموت) والتي سمحت بالفصل بين جسد المريض وشخصه، وهنا نجد فوكو استخدم المصطلح في جنيالوجيته التي وصف فيها ظهور حقل معرفي عن الجسد ، وعلى حسب تقديره فإن البنى المادية للجسم والبنى المعنوية قد امتزجت بالمصالح السلطوية فبمجرد دخول حقل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعرفة دخل الجسد البشري لحقل السلطة وأصبح هدفا محتمل الاستغلال[11]، وهنا يحدد فوكو مسألة الجسد و موضعته "كحدث من أجل إدراكه وهنا نجد سبينوزاBaruch Spinozaالذي يرى في تعيين شيء ما هو تحديد والتحديد ما هو إلا موضوع يسعى لاستبعاد ما كان معروفا عنه من أجل إعادته إلى تربته الأصلية .

إن هذا الإستخدام سيعمل على تعديل الكثير من التصورات خاصة ما تعلق منها بجانب الجسد في المشروع الفوكوي [12]

أ. *تصور الجسد (علاقة الطبيب بالمريض)*

لقد أراد فوكو من خلال دراسته لموضوع الجسد خاصة فيما يتعلق بدراساته الأولىأن يظهر جملة من الممارسات المختلفة التي تساهم في ضبطه وارادته، وهي ما جسدته مختلف التصورات التي ألصقت بالجسد، ومن خلال كتابه الأساسي ***" ميلاد العيادة نحو اركيولوجيا طبية "*** مبينا بذلك ما شهدته النظرة الطبية من العلاقات المتمثلة في علاقة الطبيب بالمريض والتي وصفها فوكو بالعلاقة العنيفة لكون الطبيب لا يشتغل على المرض إلا من جانب واحد بحيث تتضمن الثنائية التقليدية المؤسسة على الجهل والمرض، حيث تبرز سلطة الطبيب على المريض فيتخذ الطبيب من ذاته مرجعا لمعرفة المرض بدلا من الرجوع الى المريض، فهو بحسب هذا التصور لا يمثل سوى تمظهرا لما يعانيه، فالقراءة الطبية لا تأخذ بعين الاعتبار ما يريد المريض أن يقوله عن مرضه ،لأنها بحسب تصور المريض هي بمثابة تدخل المريض في عمل الطبيب وبالتالي يصل فوكو الى أن هذه العلاقة هي علاقة تشويش لا يمكن ضبطها.

إنها علاقة قائمة على عنصري النفي والاقصاء، فالوصول الى حقيقة الظاهرة الباثولوجية لا تقوم الا من خلال تجريد الطبيب للمرض واقصاء المريض من حلقة العلاج، فالطب بهذا التصور لا يتجه نحو الجسد بكيفية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملموسة وانما ينظر الى المرض واعراضه من ناحية فواصل طبيعية هفوات ومسافات تظهر سلبية بحيث تعد خاصية مميزة تميز كل مريض عن آخر.[13] لعل هذه النقط ة التي اثارها فوكو تعود بنا الى ما طرحه ابقراطHippocrate واليمين الابقراطي الذي جعل من الطب مهن ة اخلاقي ة باعتبار انها الحيا ة التي تمثل المتعامل الأول و الاساسي ، فالحياة لا يمكن تقديرها بثمن ولا يمكن تعويضها فسلب الص يغة الإنسانية عن الطب ينجر عنه تجاهل وتهميش للتجربة المرضية المعاشة من قبل المريض المتمثل ة في الالم والمعاناة في مقابل هذا يهتم الطبيب بالمرض دون المر يض و هي المسألة الاساسيةفي هذا المقام عن طريق التعامل معها بصيغة مجردة عن كل طابع انساني للمرض لتشخيصه للمرض كاضطراب عضوي يصيب عضو ماء أو وظيفة وهو ما جسدته النزع ة الكونتية (كونت Auguste Comte تحديدا)، حين اعتبر ت ان الحالة المرضية لا تختلف جذريا عن الحالة الفيزيولوجية، لعل موقف كونت وجد صداه لدى مخبر كلود برنا رdClaudeBernardحين دعم موقفه عن طريق التجارب والوقائع إلا أننا نجد في مقابل ذلك نظرة لوريشR . Leriche التي اراد ان يتجاوز بها النقص الذي جاء به كلود برنار خاصه في اطار الطب والمرضوبالتحديد العلاقة بين الطبيب والمريض ،اذ ان المريض يعد محور العملية العلاجية لأنه لولا المرض لما كانت هنالك الحاجه الى الطبيب والواقع يثمن هذا سواء تاريخيا او راهنيا. فللمريض هو الذي يشعر ويحسن ونادرا ما كان الطبيب يستطيع ان يشخص المرض دون شكوى او علاج الا في حالا ت نادرة[14] ، أما الشيء المتفق عليه هو ان التجرب ة من طرف المريض تسبق كل تصور للمرض وبتالي يعد المرض تجرب ة معاشة من اجل تأسيس طب انساني بمعنى الكلمة حيث بناء على طلب المريض يولد الدواء وبالتالي العيادة.[15]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. *تصور المرض:*

لقد اخذ مصطلح المرض مكانة مميزة داخل السياق الفولئوي حيث انتهى فوكو الى اعتبار انه ليس فقط خروج من حال ة عامة ومجردة يحددها معيار ما وانما هو حالة ذاتية يعيشها الشخص ان هذه المعانا ة تترجم عجزا وتقهقرا يتطلبه مساعد ة وتدخل وهنا نجد العيادة تلعب الدور الاساسي في هذا المجال، اذن فالمرض ليس فقط حالة سلبية كما فهمت في القرن الثامن عشر انما هو عج زونوم في السرير وزيار ة لمريض[16]. وهنا نجد ان كنغلهيم ليس ببعيد عن تصور فوكو لحالة المرض التي يعتبرها كونج لهيمحالة جديدة من الحيا ة يعيشها المريض لها معاييرها الخاص ة(كتقليص نشاط المريض وعدم قدرته على العمل الم بذول)[17] لعل كنغلهم هنا اراد ان يقدم تصورا آخر للمرض غير التصور الذي كان يقوم عليه عن طريق تقديم الحال ة المرضية ومعانا ة المريض على الحال ة السوية وهو الحال عند فوكو عندما سلط الضوء على مفهوم الوض وتغيير فهمه له فبدلا ان يكون هامشيه خارجة عن المعيارالاجتماعي والسياسي والثقافي اصبح حالة اساسيه لابد من تأريخها واعاده تصحيح فهمها.

كما لم يكن من الغريب عن فوكو أثناء تقصياته التاريخية للمظاهر السياسية للصحة داخل المجتمعات ان الأمراض شهدت هي الاخرى تنوعات طابعية تأرجحت بين الحقائق السوسيولوجية والحقائق التاريخية حيث تنوعت حسب الحقب والأماكن، فكانت هنالك جملة من التصورات حول طبيعة التصور للمرض فعلى سبيل المثال: نجد في القرون الوسطى الحروب والمجاعات بحيث اقترب تصور المرض بالخوف والتعب أمَا ما شهده القرن 17 فاقترن تصور المرض بوجود أمراض متنوعة كالأمراض المعوية والأمراض التناسلية "مرض الزهري" وإذا رجعنا الى القرن 18 فإن المرض اقترن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالهستيريا والوسواس المرضي وغيرها نتيجة الأوضاع الحياتية التي ارتبطت بالحياة النفعية المبنية على الاهتمام بالمجال الروائي والمسرحي[18].

الا أن الشيء الذي يركز عليه فوكو هو دور المستشفى كمؤسسة اصطناعية يتخذ فيها المرض موقعه وصورته، حيث يعطي المؤسسة تصور مغاير لما تعطيه الأسرة ع ن ذلك التصور لكون أن هذه المؤسسة(المستشفى) هي شبيهة بالعصارة فبمجرد ما يدخل المرض هذه المؤسسة يخرج عن تصوره الأصلي فالأمراض غالبا ما تجد معنى مغاير ووجودا آخر غير وجودها الأصلي، وهو ما أدى الى اعادة النظر في وجود المستشفيات ومدى صلاحيتها داخل المجتمعات فبدلا من تثمين المستشفيات ومدى صلاحيتها داخل المجتمعات كان لابد من تقديم الاعانات الى الأسر.

إذ أن الأسرة تعد مجال طبيعي وليس اصطناعي كالمستشفى، فالمرض يجد الوسط الحياتي المشحون بالعلاجات العفوية القائمة على روح الارتباط والمساعدة لأن الرغبة الجماعية في العلاج والعمل على مساعدة المريض لتجاوز مرضه، هي أمور لا يمكن أن نجد لهما وجود داخل المؤسسة الاستشفائية الاصطناعيةّ، وعليه فإن مساعدة المريض في التخلص من المرض تكون بصورة جيدة داخل الأسرة وبالتالي مساعدة تلك الأسرة من التخلص على البؤس والفقر.

الا أن هذا التصور كان له مناهضين بحيث رأوا أن بقاء المؤسسة الصحية أمر لابد منه،وقد انتهى النقاش بين التصور القائم على الأسرة والتصور القائم على المستشفى إلى الأخذ بالتصور الثاني مدعوما بقيام الدولة على المؤسسة الصحية، وتقنين الممارسات الصحية من خلال وجود هيئات تعمل على السهر لمراقبة الصحة العامة وكذا عمل الطبيب ومعاقبة كل من تخول له نفسه تجاوز القوانين المسنونة وكل هذا تحت ما يسمى بالخدمة الطبية للجميع[19].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن هذه الفكر ة(الخدمة الطبي ة)خضعت لل عديد من النقاشات والتحليلات من قبل المفكرين الفلاسفـة وهو الحال عند كنغلهيم الذي وجد أن الخدم ة الطبية التي يقدمها المستشفى تعاني من طغيان وظلم وبيروقراطيه ،مما أدى الى الإنحراف في مسارها و في مهمتها الأساسية المتمثلة في تنظيم العلاج والشفاء ،لأنه عندما تصبح مصلحة المؤسسة أولى من المهمة التي جاءت من أجلها تطغى البيروقراطيه و بالتالي لا يصبح هناك مكان لطلب الشفاء وانما مكان لإنتاج أمراض جديدة ولعل كنطE. Kant .هنا يعبر عن هذه الفكرة أحسن تعبير عندما يتحدث عن المدرسة حيث يل ح على ضرورة التوفيق بين الانضباطي ة وحق التمتع بالحرية للتلميذ من اجل بناء شخصية متوازنةوهو الحال ذاته بالنسبة للمستشفى فعندما نجد نوع من الإنضباطيه وفي الآن ذاته نوع من التمتع بالحري ة تصبح المؤسس ة الاستشفائية مؤسسة بالمعنى الاستشفائي الحق[20].

ت. *تصور الموت*

لقد تناول فوكو مفهوم الموت وارتباطه بالحياة في نطاق سياسي لأن الطب اقترن بالسيادة فالموت مرتبط بالمجال النظري وهو ما جسدته النظرية الكلاسيكية للسيادة والتي كانت تعطي الحق للحياة والموت، للملك أو العاهل، وذلك لأن قرار اصدار الموت هو قرار متخذ من أجل المحافظة على الحياة بحيث أن الموت ما هو الا حق في القتل، لقد أخذ تصور الموت بعدا سياسيا واقتصاديا في ق 18 وهو ما جسدته السياسة الحياتية ، حيث لم يعد للموت قيمة كبيرة لأن الطقوس والعادات التي كانت مرتبطة به زالت والدليل على ذلك هو توقف الكثير من الأشخاص عن الوقوف في جنازات كبيرة ولهذا يقول فوكو أصبح الموت في أيامنا، هو الموضوع المحرم وليس الجنس[21].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لان الموت في ق 18 و 19 يمثل نهاية للحياة وليس حدا للسلطة وتعبيرا عن نهايتها، فللموت هو الجانب الآخر الذي يقع خارج السلطة وخارج نطاقها وبالتالي فان السلطة لا تتعامل معه الا بشكل عام واحصائي فقط وعليه فإن السلطة ليس لها الحق في الموت وانما لها الحق في التدخل في الحياة، وطريقة ومستوى الحياة من خلال التحكم واطالة الأعمار عن طريق التحكم في بعض الحوادث والاعراض والنقائص وهو ما تمثله العلوم الطبية المعاصرة التي تختص بكيفيات التعامل مع الحياة في مقابل الموت حيث انه أمام التحديات التي يعرفها الطب في مواجهة قضايا الصحة (نقص جسدي ،تشوهات خلقية وغيرها) فإننا نجد اشتباكات مفاهيمية تخص مفهوم الموت بالمعنى المعاصر له خاصة وانه اتخذ مجالا رحبا لمفاهيم متعددة داخله كالموت الاكلينيكي الذي يعرف على انه بقاء الجسم بين الحياة والموت إلى أجل ما أو الموت المتعلق بتوقف القلب أو موت المخ وغيرها من المفاهيم المعاصرة لتشخيص وتعريف الموت التي تعد من أهم المسائل الطبية والأخلاقية داخل التفكير العلمي المعاصر [22].

خاصة وأن مفهوم الموت ارتبط ارتباطا وثيقا بنتائج التطور البيوتقني خصوصا فيما يتعلق بمسألة الموت الرحيم l'euthanasie والتداعيات الطبية والقانونية والأخلاقية المنجرة عن تلك المسألة و بالتالي أصبح مفهوم الموت الذي تحدث عنه ميشال فوكو بمثابة حلقة رابطة بين التصور القديم للمرض القائم على الظروف الطبيعية والتفسير الغائي للطبيعية الإنسانية وعلى التصور الحديث والمعاصر الذي اقترن بالتدريج مع غايات ومصالح سياسية ، تقنو علمية ، اقتصادية .

4. <u>. التجاوزات السلطوية والاخلاقية داخل الطب(الصحة)</u>

إن الطب تقنية عامة للصحة أكثر من كونه فنا للعلاج ومصلحة للأمراض إذ اكتسى أهمية متزايدة داخل المؤسسات والهياكل الادارية وبالتالي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زادت العلاقة بين الطب والسياسة وهي المرحلة التي شهدها القرن الثامن عشر، فكانت الادارة بمثابة نقطة انطلاق التحقيقات الطبية الكبرى حول صحة السكان، كما ثبَت الطبيب رجله داخل هيئات سياسية مما تولد فيما بعد ما يسمي ب **"السلطة السياسية الطبية"** حول السكان إذ لم تقتصر فقط على المرض وانما على مختلف الأنماط العامة للعيش والسلوك (التغذية، الخصوبة، الجنس) وشيئا فشيئا اصبح الطبيب أكبر مستشار وأكبر خبير خاصة من ناحية فن مراقبة وتصحيح وتحسين الجسم الاجتماعي والعمل على المحافظة عليه، وقد اكتسب هذه الهيبة بصفته محافظا على الصحة هذا قبل أن تضاف اليه المكانة الاقتصادية والاجتماعية في ق 19 ولكن ما تجدر الاشارة اليه هو أن ارتباط الصحة بالجانب السياسي لم يتوقف فقط على ق 17و18و19وانما الاهتمام السياسي بالصحة والجسد يعود الى ما قبل ذلك ما دام حق الحياة و الموت بيد العاهل،ان هذه السلطة المتمثلة في اصدار الحكم على البقاء على قيد الحياة أم لا ،أخذت أبعادا وتصورات مختلفة الى أن وصلت الى المجتمع الحديث والتي يسميها فوكو بالسياسة الحيوية والتي ستأخذ تصورا مغايرا متمثلا في حق الإحياء بدل الإماتة، ورفض الموت ذلك بعد أن وجدت الدولة لنفسها مكانا داخل الحياة[23].

أ. سلطة الحياة اللاإنسانية

ان الشيء الجديد الذي أكد عليه فوكو بالنسبة الى السياسة السلطوية الجديدة والمتعلقة بالمجال الطبي هو أن الصحة والسياسة اتفقتا، فسعت السلطة بذلك الى استثمار الحياة حيث حدث ما يسمى ب تعزيز الجسد وطرح مسألة الصحة وشروط عملها فكان الشيء المراد هنا هو العمل على اطالة الحياة الى أقصى مدى، انها سلطة تمجد الحياة وتعمل على ايجاد شتى السبل لتحقيق أهدافها ، لكن الشيء الذي لابد أن ننوه اليه هو أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه السلطة هي ليست سلطة انسانية وانما على العكس من ذلك انها سلطة تعمل على تحويل أشكال وتقنيات ممارستها وهو الشيء الذي نجده في كتاب فوكو ***المراقبة والمعاقبة*** الذي يلَخص جملة التحولات والتقنيات السلطوية المطبقة على الجسد حيث لم تعد السلطة تقتل باسم حياة الملك وه يبته وهو ما جسدته صورة السلطة الهوبزية (هوبز) وانما أصبحت تستغل الطب باسم الحياة للجميع انها تقتل باسم النوع والعرق والوجود البيولوجي للسكان فنجد السلطة متمركزة في عمق الحي والحياة دون رد الاعتبار للجانب الأخلاقي الذي تتضمنه الحياة الانسانية أو ما يقرره العرف الأخلاقي للعمل الطبي النزيه فمنذ أن أعطت السلطة لنفسها مهمة إدارة الحياة لم تأخذ بعين الاعتبار المشاعر الانسانية المشروعة بل ان مشروعية وجود السلطة ومنطق ممارستها هو الذي جعل تطبيق عقوبة الموت أمرا أكثر صعوبة وأكثر تعقيدا، لأن السلطة ستقع في سؤال يجعلها تتخبط في متاهة لا مخرج منها وهو كيف لسلطة تستثمر الحياة وتعمل على تزكيتها ومراقبتها وتنظيمها، ان تشرعها أو تقمعها أو تحبطها ، وهو الشيء الذي يؤدي الى فضحهاوتناقضها وهو الحال الذي جعل من السلطة البيولوجية تبحث عن آليات واستراتيجيات مغايرة تتلاءم واهدافها الانتاجية وكان الفرد هو توجهها.[24]

فعملت الدولة على اتخاذ أشكال عديدة من التدخلات بتكنولوجيات متعددة وسياسات مختلفة وهي ما مثلتها كل من السلطة الانضباطية والسلطة الحيوية[25] فجسدت الصورة الانضباطية صورة الجسد كآلة يمكن ترويضها والرفع من كفاءاتها والعمل على توفير نمو متوازن لمنفعته أما الصورة الحيوية فهي تدخل ضمن ممارسات الحياة والعمل على مراقبة الأجساد والحفاظ على جودتها حيث كان الهدف من هذه السلطة هو هدف اقتصادي، تسعى من خلاله الدولة الى مطابقة الظواهر السكانية مع العامل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاقتصادي من مظاهر يمكن أن تخلفها سياسة الصحة(تكلفة العلاج، العجز عن الانتاج) فالمريض في هذه الحالة يصبح عالة على المجتمع والدولة ،لأنه سيدخل المستشفى فيترتب ع ن ذلك نقص في الانتاج وزيادة تكاليف العلاج،فترتب عنه وجوب إحداث مؤسسات صحية تعمل على الاهتمام بكل جوانب الوجود الصحي للناس سواء ما تعلق منها بالجانب الجسماني أو الجانب العقلاني،بعد أن كانت الدولة تهتم فقط بـالجانب العقابي من قبيل السجن .

ومن هنا تحولت مهمة الطبيب من محاربة الأمراض ومعالجتها الى مهنة سياسية بامتياز غرضها وهدفها الحرب ضد الحكومات الفاسدة ، فاذا رجعنا الى المستشفى وماله من علاقات سياسية وتجاوزات أخلاقية في التاريخ عند فوكو فـإننا نجد بان المستشفى ارتبط بجملة من الأحكام والتصورات السلبية كاعتباره بناءبالي، أو فضاء من الفضاءات المغلقة على ذاتها والتي تشبه الى حد ما السجن لاشتراكهما في خاصية الحجز، فالمستشفى هو حجز للبشر وكذا الأمراض، انه بمثابة بؤرة للموت خاصة في المدن التي تكون فيها الأولوية للعلاج، لأنه خلق جملة من الصعوبات والمعيقات مما سمح له بأن يكون بؤرة موت بدل حياة، والدليل على ذلك هو عدم الحصول على أماكن فيه تصف الى ذلك جملة القيود التي يصيغونها ويصفونها من أجل الدخول اليه الى جانب الرقابة السبتية من الجانب الطبي، مع عدم القدرة على الاستحواذ الشامل للعلاج [26] كل هذا جعل منه أداة غير ملائمة، الا أن الحقيقة التي لابد أن ترتبط باسم المستشفى أو التطبيب هي أنه لابد أن يكون للجميع ولا للبعض، وأن يبلغ مسعى الصحة العامة لا أن يكون ثقل عليها وعلى الاقتصاد، لأنه بحسب التصور الذي أشير اليه هو يشكل وزنا مثقلا لا يقدم العون ولا يسمح بتقليل الفكر بل الأسوأ من هذا انه يعمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على زيادة فرص انتاج الفقراء واطالة أمد الأمراض ال تي ستؤدي بالضرورة إلى انتشار العدوى واحتمال الموت[27].

لقد أدى هذا التصور الى العمل على استبدال هذه المؤسسة الغير كفيلة بآليات أخرى كانت بحسب التصور قادرة على زرع كل ما هو ايجابي من منظور تطبيبي استشفائي حيث كانت عملية " الاستطباب المنزلي"، احدى هذه الآليات المقترحة التي كانت تمثل العلاج والارتياح النفسي في الآن ذاته، حيث أن المريض بدلا من أن يتلقى علاجه في وسط مشحون بالمرضى والمرض والأدوية بالإضافة الى عجزه لوحده دون عائلته فان اقتراح التطبيب المنزلي، أخذ بعين الاعتبار هذه النقائص، فالمريض ليس وحده إنه مع عائلته التي تخلق له الجو المناسب للعلاج المشحون بالعواطف والتآزر والعناية وغيرها من المواقف التحسينية الايجابية الداعمة، أضف الى ذلك التكلفة حيث أن تكلفة العلاج ستكون أقل بكثير على المجتمع خاصة اذا ارتبطت بالتغذية والمبيت والمعالجة، الا أن هذه الآلية تشكل خطرا على الفرد وعلى اسرته وعلى المجتمع برمته خاصة اذا ارتبط الأمر بالمرض الوبائي.

أما الأخرى فهي الآلية التي تضمن تأطيرا طبي للسكان، فاستبدل المستشفى بهيئة طبيبة منتشرة على نطاق واسع، قادرة على تقديم العلاج إما بالمجان أو على الأقل بكلفة ممكنة ومقبولة[28].

كما نجد مقترحا آخر وهو الذي تقدمه بعض المستشفيات أو بالأحرى المستوصفات و التي تهدف الى المحافظة على الفوائد التقنية للتطبيب دون المساس بالمجال الطبي أو الاقتصادي، وذلك بتقديم الأدوية للمرضى دون أن تختبرهم انطلاقا من هذه الاقتراحات بدأ في ق 18 بتأسيس جملة من المشاريع والتجارب وتحقيق بعض هذه الآليات والمقترحات، ففي سنة 1769 أنشأ مستوصف في لندن للفقراء، لنشر الفكرة ل تصبح جميع أحياء المدينة تقريبا تمتلك مستوصفات كذلك تتمتعبالتوزيع المجاني للأدوية من طرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الادارة تحت رعاية أطباء متمرنين هذا كله من أجل استبدال المستشفى حيث ان اخفاء المستشفى لم يكن الا شيء وهمي أو مطلب طوباوي لأن هذه الجهود ما هي الا مسعى من أجل تعديل صورة المستشفى بالمقارنة مع الأسرة التي أصبحت سلطة أولية للصحة، لقد وصل التفكير في النهاية الى التنازل الى كيفية انشاء المستشفيات، لكي تكون قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من جهة ومن جهة أخرى لكي يسهل التحكم فيها.

انطلاقا من هذه التصورات ظهرت مستشفيات خاصة حتى وإن كانت موجودة من قبل إلا أنها لم تكن لنفس الغاية كما هو الحال للمستشفيات الخاصة " بالمجانين " و "الزهري " لأنها كانت أماكن للعزل والسحب بدلا للعلاج [29] فأصبح المستشفى في الأخير مؤسسة للدعم والتأطير عن طريق وجود هيئة طبية، وبالتالي اصبحت هنالك القدرة على الانتقال من العلاج في البيت الى النظام الاستشفائي، لأن التطور الأول للمستشفى زال بسبب الجهود والاصلاحات التي طرأت على هذه المؤسسة لأنها أصبحت في الأخير قادرة على السيطرة ولو بجزء على بعض المشاكل التي كانت تشكل عائقا للمجتمع كالاكتظاظ، التكلفة، المراقبة الطبية .... الى غير ذلك[30].

وعليه فإن الإنتقالة التي عرفتها الدولة في التعاطي مع المرض بدءا من سفينة الحمقى الى ظهور المستشفيات ثم إلى ظهور السياسة الحيوية كانت نتيجة التحول الذي عرفته القيمة السياسية للمجال الصحي داخل المجتمع فبعد أن كانت الصحة تمثل شأن خاص فردي أصبحت تعبر عن أمر سياسي محض دون مراعاة للجانب الانساني الذي يشكل فيه البعد الأخلاقي جانبا كبيرا وانطلاقا من تاريخية فوكو للعمل السياسي الصحي توصل إلى أن عملية التوجيه السياسي للحياة الانسانية قامت على بعدين للمجال التحكمي في الدولة الحديثة وهي ما أطلق عليها بسلطة الضبط والتسوية الحياتية la[31] normalisation de la vie،حيث ارتبط البعد الأول بالسياسة الجسد الذي عمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على اعتبار الجسد آلة مما أصبح يتعامل معه عن طريق تدريبه وتنمية مواقفه وقواه طبقا للمنفعة المرجوة، وتكون المؤسسات مرتبطة بهذا العمل بهدف اضفاء الطابع الجمعي على الفرد من جهة، كالأسرة أو المؤسسة العسكرية أو المعمل،ومن جهة أخرى العمل على تحسين وتوجيه انحرافاته كعمل السجن أو المستشفى.

أما البعد الثاني يتمثل في تلك السياسة الحيوية التي لخصنا محتواها من قبل والتي ترتكز على الجسم كنوع حيث تتخذ كدعامة للعمليات البيولوجية على مستوى الصحة من تناسل، وفيات انقاذ أو ابقاء على قيد الحياة حيث تتم تحت مراقبة مستمرة وتدخلات استعجالية وينضم الى هذه التقنية السلطة التي تستعمل في التخطيط العائلي ومراقبة الهجرة وبرامج الصحة العمومية والسياسات الاجتماعية[32].

لقد أدى الطب بحسب فوكو وظيفته بصورة غير عفوية حيث سمح لتكنولوجيا السلطة ان تنتقل من المستوى الابستيمولوجي التشريحي – السياسي الى بيو سياسة النوع الانساني حيث جعل مواضيع مثل: المواليد والوفيات ومعدلات الخصوبة كلها مواضيع تتحكم فيها السلطة وتعبر عنها بلغة رياضية (أرقام ونسب) لتصبح البيو سياسة ليست تعبيرا عن الجانب البيولوجي بل على نوع من الطب، يتميز بأنه طب تقني يزود السلطة بما تريد، مشكلا بذلكالطب معرفة سلطة savoir – pouvoir تمارس على الأفراد وعلى الجانب العضوي والعمليات البيولوجية التي يكون لها في آخر المطاف تأثيرات تأديبية وأخرى تنظيمية.

ومن خلال مفهوم البيوسياسة تبين أن الحياة والحي هما من رهانات الممارسة السياسية وكذا من الفعاليات الاقتصادية الجديدة، حيث تعلم المواطن الغربي شيئا فشيئا معنى وجوده ضمن عالم حي ولكن وفق تخطيط سياسي دون مراعاة لجسد وشروط وجوده واحتمالات الحياة أو صحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شخصية أو اجتماعية [33] ولعل الفكرة تقترب إلى حد ما إلى التداعيات الأخلاقية للبيوإتيقا التي وجدت أن سلطة التقنية والتكنولوجيا قد انقلبتا على الوعي بالرفاهية وتحسين حياة الإنسان والبيئة ككل إلى درجة باتت تهدد كيانه وكيان من حوله وهي الفكرة التي طرحها هانز جوناس Hans Jonas،وغيره من الفلاسفة والمفكرين .

إن هذه الدراسة الفوكوية لإشكالية السلطة – الحياة أخذت أبعاد كثيرة خاصة داخل القراءات الفلسفية المعاصرة مما ولدت فهما متعددا يتجاوز الطرح الفوكوي مستمدين دعائمهم بما جاءت به حنة ارنت Hannah Arandt، في كتابها essai sur la révolution حيث جعلت من الحياة واقعا بيولوجيا لم تكن محركا للثورة الفرنسيةوفقط وانما لكل الثورات التي تلتها، إلا أن الطرح الفوكوي حقيقة الأمر لم يبتعد عن ما جاء به حنة أرنت خاصة عند حديثه عن البيوسياسة عبر تطور الإقتصاد السياسي ومدى ارتباطه بالتكنولوجيات الحيوية الوراثية (الجينية) ، فالسلطة هي المحرك له وهو ما نلمسه في التطورات التي شهدها المجال الطبي والبيولوجي في الجانب الجيني بالتدقيق في الاختيارات الوراثية والعلاجات الجينية التي تشرف عليها الدولة من أجل أغراض تجارية محضة لأنها أصبحت من بين الأهداف المسطرة داخل العقلية الغربية تحت ذريعة الحفاظ على السلامة والصحة العمومية[34].

ب. نحو ايتيقا للاعتراف بالذات الانسانية:

لقد أراد فوكو من خلال نقده لموضوع الصحة في ق 18 أن يؤسس لوعي جديد قائم على نظرة خاصة للانسان باعتباره كائن يرفض السكون حيث ينزع إلى التغ يهر من أجل ان يكوَن معنى وقيمة وحقيقة لكينونته مادام انسانا، لقد أكد فوكو عودته للذات في آخر أبحاثه وبالأدق الرجوع الى الثقافة اليونانية باعتبارها ثقافة تقوم على الاعتراف ،ولعل السبب في الرجوع الى التجربة اليونانية هو قدرة اليونان على تشكيل الذات لديهم وهو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما أكده فريديريك غرو في الاثراء الإتيقي [35] الكامن في تحديد الذات لدى اليونان لقد عاد فوكو الى اليونان بعد أن وضح أن الفرد في المجتمع الحديث كان ضحية التشريح السياسي والترويض الاقتصادي وهو ما لمسه فوكو في ذلك التلاقي الموجود بين البيولوجيا وكذا السياسية مشكلين ما يعرف بمصطلح السياسة الحيوية التي تمثل بالنسبة له اخفاء للفعل السلطوي العنيف والغير أخلاقي عن طريق طرح مسألة الصحة وشروط عملها من خلال اعتماد تقنيات جديدة لإطالة الحياة حيث أصبح الاهتمام حول الجسد والعافية كما يُعدَ منطوق الجنس كتوزيع جديد للمتع والحقائق والسلطات[36].

لذلك سعى فوكو الى اكتشاف التغير النوعي الذي يتحقق بفعل تشكل الذات وعلاقتها بالخارج وكانت اليونان الملجأ الفوكوي من أجل استعادة الذات لذاتها و لجمال وجودها الانساني والأخلاقي لأنه بالنسبة لفوكو الذات التي تحدث عنها في مؤلفاته السابقة ماهي إلا ذات مسلوبة ومفرغة .

وانطلاقا منها تشكلت معارضات فوكو ونضالاته ضد السلطة، كسلطة الرجال على النساء وسلطة الطب العقلي على المصابين بالأمراض العقلية، والطب على السكان، والإدارة على نمط عيش الانسان، انها في تقديره مسارات تؤسس لابتكار ذاتية جديدة تسعى الى تحرر الذات الانسانية من الدولة ومؤسساتها، لتعيش حياتها كأثر فني لذلك لزم ما يسميه فوكو بالتهيئة الذاتية فمثلما استطاع الفكر اليوناني أن يرسي معالم عقلانية قائمة على عدم قدرة وصول الانسان للحقيقة مالم يقم بعمل جذري حول نفسه تجعله قابلا لمعرفة تلك الحقيقة، كذلك الجانب الاستطيقي يدعونا الى القيام بالعمل من أجل أن يعطي للحياة معنى مغاير لها لتحقق بذلك حياة تستحق أن تعاش[37].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا نجد أن فوكو يخرج بالذات من الدوامة التي سحبتها معها لأنها ليست كيان منعزلا ومنطويا، انما هي في تكونها بناء ديناميكي فدعى بناءا على هذا الى ارساء جماليات للعيش ولأسلوب حياة ونمط وجودها فأن تجعل من الذات ذات أثر فني معناه أنه:

- لابد من الاستمتاع بالذات والجسد كأن يتخذ الأمر شكلا ثقافيا أو صحيا أو سياسيا.

- ابتكار شكل جديد في علاقة مع الذات (كالسيرة الذاتية مثلا) وغيرها من المعاني التي تخرج الذات من خاصية التذويت la subjectivation)(والتبعية والتسلط.

وعلية فالشكل الاتيقي للذات يستدعي من الذات أن تمارس ذاتها لتحقق فرادتها ووجودها النوعي في هذا الوجود وبالتالي فهو شكل من أشكال النضال الذي تبتدعه الذات من أجل الانعتاق من ما يصطلح عليه فوكو بالتذويت والأسلبة وبالتالي تعطي الذات لنفسها نوعا من الأثر الفني فيتولد الاعتراف بالذات وكذا حضور الذات كتدبير ولكن ما الذي يعنيه فوكو بالتدبير.

ان التدبير بما هو فن للحياة هو ضرب من التعايش الفني مع الحياة فيعيش فيها الكائن ويمارس سلطته وحكمه بعيدا عن كل الضغ وطات حيث تعد لحظة الانخراط الحقيقية في تلك الحياة هي لحظة ايتيقية وجمالية وتعود هذه الفكرة مع فوكو الى ابيقور الذي بلور العلاقة بين التدبير والتفلسف الذي يوصل الى السعادة.

انطلاقا من هذه اللحظة تصبح مرحلة العناية بالذات نشاطا للنضج [38]، كما يطرح التدبير بماهو ممارسة وانشغال الذات سؤالا تاريخيا يتمثل في هل الاهتمام بالنفس يشكل نوعا من القانون الأخلاقي الكلي؟

يجيب فوكو عن هذا التساؤل مبررا أن تاريخ الثقافة الغربية هو عبارة عن صيرورات من التقنين جعلت تصور القانون كمبدأ عام لكل ممارسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انسانية في حين أن القانون ما هو الا شكل تاريخي لأسلوب الذات في علاقتها بذاتها وانطلاقا من هذا التصور ينفي فوكو أن تحتوي العناية بالذات طابع الكونية كون أنها لا تعدو أن تكون سوى نوع من الاختلاق والتوهم لكون التدبير في جوهره والعناية بالذات في منطلقاته ا،لايمكن لهما أن ينطبقا إلا على الذات الفردية أو مجموع ة من الأفراد دون سواها وهو ما يعني أن التدبير هو ضرب من الامتياز المتفرد فهو كخلق لنوع من الخصوصية الفردية.

فيتميز التدبير انطلاقا من هذا بجملة من المميزات حيث تمكن الميزة الاولى بربط الذات بفن الوجود وهو ما يعني اقتران الممارسة الايتيقية بالبعد الجمالي لوجود الذات، فقد يتشكل بوصفه مبدأ غير مشروط ثم يتحول الى قاعدة قابلة للتطبيق على ال بعض بحيث يمكن ممارستها من دون شروط ومن دون غايات.ان هذه الميزة تطرح العلاقة بالآخر باعتبار أنها ضرورية لتكوين الذات بحيث تتجلى هذه العلاقة في ثلاث أشكال:

- الشكل الأول :الآخر باعتباره نموذج أو مثال بحيث تكون قاعدة التدبير هي عبارة عن التشبه بالآخر والعناية بالذات من خلال التعرف الى الآخر أو الحضور الرائع في الذات.

- الشكل الثاني : الكفاءة والصناعة والتدبير الذي يعد ضربا من الإ حكام وذكاء الاستعمال.

- الشكل الثالث: هو الآخر الذي نلتقيه في ممارستنا للحوار فيفهم على أنه معنى الحركة من الجهل الى المعرفة أو اللاجهل حيث لا يمكن أن تتم هذه المفهمة أو هذه الحركة الا عند حضور الآخر[39].

وانطلاقا من هذا فإن حضور الآخر في عملية العناية بالذات يعمل على مساعدة الذات من الخروج من نمط ما أو وضع ما حيث يكون الآخر بمثابة فاعل ووسيط يفرض وجوده داخل هذه العلاقة ، وهو ما حلله فوكو أكثر عندما تحدث عن مصطلح الباريزيا الذي يعطيه منحى اتيقي وذلك بفهمه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على أنه هو ذلك الانفتاح على الآخر الذي يتطلب قول الحق والصراحة والصدق، فالباريزيا تعنى بايتيقا الكلام فهي تؤسس لعلاقة خطابية بالآخر خاصة في عملية الوعي والقيادة[40].

خاتمة

وختاما يمكننا القول أنه عندما تصبح أعمال العنف السياسي اعمالا مشروعة ومبررة والتي تعد أعمالا غير أخلاقية،هنا لابد من البحث عن الاساس الذي بُنيت عليه هذه الفكرة وجعلت من هذه الممارسات شيئا مقبولا هذا ما دفع بفوكو إلى البحث عنه محاولا التنقيب والتحليل والنقد في الآن ذاته عن كل مشروعية لهذه الممارسات حيث ركز على منطق البيولوجيا والسياسة والصحة لسبب واحد والمتمثل في تكييف ذاتية الانسان التي انجر عنها ظهورتساؤلات أخلاقية لممارسات العنف السياسي ومبرراته على الجسد_الفرد،وبالتالي كانت اعمال فوكو متمركزة حول التحقيق والتنقيب في آليات وممارسات البيولوجيا السياسية وعلاقتها بالجانب العنفي والغير اخلاقي والذي يعود في اساسه إلى التركيز في سياسات الحياة، تلك السياسات التي عبر عنها بممارسات العنف الممنهج ضد الذات الانسانية.

وعليه فإن عمل فوكو ليس تأريخا عاديا أو تحليلا سطحيا وإنما هو بحث عن كيفية نشوء موضوع لايمكن أن يضاف إلى الاشتغال العادي والمألوف لآليات السلطة وإنما يتجاوز ذلك وبدرجة كبيرة إلى التعديل الكلي لذلك الموضوع لتظهر البيولوجيا السياسية كآلية جديدة وكميكانيزم مُؤهل للسلطة ومشرع للقانون السيادي الذي يعتبره فوكو قانون سلطة الموت (أثناء تحليلاته للسياسات الصحية في القرن 18)،لتظهر المؤسسات الطبية في الأخير وتلعب الدور المنوط بها مولدة بذلك تداعيات على مختلف الأصعدة أخلاقيا قانونيا سياسيا وغيرها،،،إلخ والتي تضم في داخلها السجالات المصيرية للذات الانسانية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش

1 الحريري عبد الله: كيف الصحة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1 ، 2013، ص 12

2دستور اقره مؤتمر للصحة الدولي المنعقد في نيويورك في فتره 19 يونيو الى 20 يوليو 1946 ووقعه في 22 يوليو 1946 ممثلو61 دولة ودخل حيز التطبيق 7 أبريل1948 انظر موقع منظمة الصحة العالمية على الرابط: http// :www . who.int

3 كارسيا اتيان(2010) تمويل أنظمة الصحة ، متاح على الرابط:https://www.who.int

4ميشيل فوكو:ميلاد العيادة ، ترجمة إياس حسن ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2018 ،ص 07

5رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كنغلهم ،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قسنطينة2 ، 2005_2006 ، ص127

6 ميشال فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ،2006 ص 12

7 المزوغي محمد :نيتشه،هايدغر،فوكو تفكيك ونقد، دار نيبور للطباعة والنشر،العراق، ط1 ،2014 ،ص364

8 ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، مصدر سابق، ص 69

9Michel Foucault, naissance de la clinique, édition Cérès, Tunis, 1995, p28, 29

10 المزوغي محمد ، نيتشه هايدغر فوكو،ص 359

11 ميشيل فوكو:ميلاد العيادة ،ص 07

12الكبسي محمد علي: قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر،دار الفرقد،سوريا،ط2، 2007 ، ص27

13 Michel Foucault, histoire de la folie à l'âge classique, paris, librairePlon, 1961, p10

14رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كنغلهم ، ص157

15 Olivier Bézy « lasanté c'est la vie dans le silence des organes, revue lacanienne, n°3_2009, p47_50, disponible sur le site : https// www.cairn.info ,mis à jour/ 27/03/2020.

16 Michel Foucault, naissance de la clinique,opcit, p200

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[17] رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كنغلهم،ص 166

[18] Michel Foucault, naissance de la clinique ,p.44

[19] ميشال فوكو "السياسة الصحية في القرن 18 من كتاب فوكو صحافيا ...أقوال وكتابات، ترجمة البكاي بن عبد المالك، لبنان ، ط1 2012 ، ص 120

[20] رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كنغلهم، ص132

[21] ميشال فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع ، دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس سنة 1976، ترجمة زواوي بغورة،دار الطليعة بيروت،ط1، 2003،ص 231،240

[22] الحفار سعيد محمد : البيولوجيا ومصير الانسان، سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، (دط)، 1984،ص147

[23] ميشال فوكو "السياسة الصحية في القرن18 من .....أقوال وكتابات،ص 108

[24] محمد صفار: " مأزق الأركيولوجيا في أفق المعيارية "، ضمن مجلة أوراق فلسفية ، العدد26 ،القاهرة ، 2009_2010 ، ص 145

[25] يدل مصطلح البيو سلطة بصفة عامة على السياسة المعنية بالحياة فالجزء الاولbio ذو الأصل اليوناني و الذي يحتوي على معنيين مميزين للحياة : زوي zoé التي تشير الى الحياة العارية او الحياة كما هي ، أما bio فهي تدل على الحياة المؤهلة أو الحياة في شكل معين(أنظر أبو رحمة أماني : أبعد من فوكو السياسات الحياتية في عصر الجينوم، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر ، ط1 ، 2017 ، ص 27)

[26] ميشال فوكو "السياسة الصحية في القرن18 .....أقوال وكتابات،ص 123

[27] المصدر نفسه،ص 124

[28] المصدر نفسه، ص 124

[29] ميشال فوكو "السياسة الصحية في القرن18 من .....أقوال وكتابات،ص 124

[30] المصدر نفسه،ص124

[31] ميشال فوكو:" يجب الدفاع عن المجتمع" ، ص244

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[32] حسن المصدق : البيوإتيقا والمهمة الفلسفية ، أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية ، اشراف علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف ، منشورات ضفاف ،ط 1 ،الجزائر _بيروت، 2014 ،ص 174

[33] المرجع نفسه، ص176

[34] المرج ع نفسه، ص178

[35] الايتيقا تخص الكيفية التي بمقتضاها تتشكل ذاته بذاتها (se constitue soi même)، كموضوع أخلاقي هي عبارة عن علاقة تربط الفرد بنفسه وذلك عند موقف الفعل،فالسؤال الايتيقي عند فوكو لا يتولد داخل الفعل السلطوي بل بالعكس خارجه وبمنأى عن الامر الأخلاقي المتربص بالفرد لأن الذات تعيش التجربة الأخلاقية الا عندما تكون خارج لعبة السلطة والحقيقة عن طريق فعل الانهمام بذاتها وبالتالي تجسد وجودها وكيانها وهو ما يعد منطلق التشكل الاتيقي لها.

[36] البحري خالد:" استيطيقا الذات عند فوكو "،مجلة دراسات فلسفية،العدد 3، الجزائر،2014 ، ص19

[37] حيدوري عبد السلام فوكو وأنطولوجيا الحاضر،من الانشغال الانثربولوجي إلى الاضطلاع الايتيقي السياسي،مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث،المغرب_لبنان،ص127

[38] ميشال فوكو : تأويل الذات ، دروس القيت في الكوليج دو فرانس (1981_1982) ، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة ، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 2011 ، ص 90

[39] حيدوري عبد السلام : : فوكو وأنطولوجيا الحاضر..... ،ص 166

[40] المرجع نفسه،ص 145

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع أولا: المصادر:

- باللغة الأجنبية:

1. Michel Foucault, histoire de la folie à l'âge classique, paris, librairePlon, 1961
2. Michel Foucault, naissance de la clinique, édition Cérès, tunis1963, 1995

- باللغة العربية:

1. ميشال فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ،2006
2. ميشيل فوكو:ميلاد العيادة ، ترجمة إياس حسن ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،ط1 ، 2018
3. ميشال فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع ، دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس سنة 1976 ، ترجمة زواوي بغورة،دار الطليعة بيروت،ط1، 2003.
4. ميشال فوكو : تأويل الذات ، دروس القيت في الكوليج دو فرانس (1981_1982) ، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة ، دار الطليعة ، بيروت، ط1 ، 2011.
5. ميشال فوكو "السياسة الصحية في القرن18 من كتاب فوكو صحافيا ...أقوال وكتابات، ترجمة البكاي بن عبد المالك، لبنان ، ط1 2012
6. ميشيل فوكو:ميلاد العيادة ، ترجمة إياس حسن ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2018

ثانيا: المراجع:

1. أبو رحمة أماني : أبعد من فوكو السياسات الحياتية في عصر الجينوم، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر ، ط1 ، 2017
2. الحريري عبد الله: كيف الصحة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013.
3. الحفار سعيد محمد : البيولوجيا ومصير الانسان، سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، (دط)، 1984،ص147
4. الكبسي محمد علي: قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الفرقد ، سوريا، ط2 ، 2007

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. المزوغي محمد :نيتشه، هايدغر،فوكو تفكيك ونقد، دار نيبور للطباعة والنشر،العراق، ط1 ،2014 .

6. المصدق حسن : البيوإتيقا والمهمة الفلسفية ، أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية ، اشراف علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف ، منشورات ضفاف ،ط1 ،الجزائر _بيروت،2014.

7. حيدوري عبد السلام :فوكو وأنطولوجيا الحاضر ، من الانشغال الانثربولوجي إلى الاضطلاع الايتيقي السياسي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، المغرب_لبنان،2018

ثالثا: المقالات :باللغة العربية

1. البحري خالد :"استيطيقا الذات عند فوكو "، مجلة دراسات فلسفية ، العدد3، الجزائر،2014 ، ص19

2. محمد صفار: "مأزق الأركيولوجيا في أفق المعيارية"، ضمن مجلة أوراق فلسفية ، العدد26 ،القاهرة ، 2009_2010

باللغة الأجنبية

Olivier Bézy « lasanté c'est la vie dans le silence des organes, revue lacanienne,n°3_2009,p47_50 ,disponible sur le site : https// www.cairn.info

رابعا: الرسائل الجامعية

رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كنغلهم ،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قسنطينة2 ، 2005_2006

مواقع الإنترنيت

كارسيا اتيان (2010) تمويل أنظمة الصحة ، متاح على الرابط:https://www.who.int

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com